عملية سمير الإسكندراني

(ما كان منه إلا أن اصطادهم بعد أن ظنوا هم أنهم قد نجحوا في اصطياده، وعاد مسرعًا إلى مصر دون أن يثير ريبتهم، وتوجه إلى مبنى المخابرات [العربية] العامة في القاهرة وأطلعهم على الخطوط العامة ثم طلب مقابلة رئيس الدولة [جمال عبد الناصر] شخصيًا ليطلعه على التفاصيل.. وكانت التفاصيل أكثر من مثيرة.. إنها قصة المطرب سمير فؤاد الإسكندراني)

13

كانت قضية الجاسوسية التي فجّرها نجم الغناء المطرب سمير الإسكندراني، ولعب فيها دور البطولة في نهاية الستينيات، والتي كشفت من بين ما كشفت عن وطنية هذا الشاب الذي كان يتفجر بالموهبة ويمتلئ بالطموح، ولكن طموحه وشبابه المندفع لم يكن أحدهما عاملاً من عوامل توريطه في الفخ الذي نُصب له في إحدى المدن الإيطالية حيث كان يدرس الأدب الإيطالي، بل إن وطنية سمير الإسكندراني كانت هي المحرّض والمشجّع له ليكشف عن شبكة تجسس إسرائيلية كان الموساد قد زرعها في عدة عواصم عالمية منها بالطبع القاهرة. ومن بين أخطر ما كانت تهدف إليه الشبكة التي تعمل بتخطيط وإشراف مباشر من جهاز الموساد الإسرائيلي، اغتيال الزعيم والرمز المصري جمال عبد الناصر ومعه المشير عبد الحكيم عامر باعتباره مسئولاً عن جيش الدفاع المصري وقتها.. وهو الخبر الذي هز مصر كلها في ذلك الوقت، ولم يُدْلِ بتفاصيله الفنان سمير الإسكندراني إلا في حضرة الزعيم جمال عبد الناصر، وفي الفيلا المتواضعة التي كان يسكنها في منشية البكري بالقاهرة.

واستطاع سمير عن طريق خطة محكمة وضعها جهاز المخابرات المصري، أن يغرر بعملاء الجاسوسية الإسرائيلية، وأن يجذبهم من أوكارهم في إيطاليا والنمسا وعدّة عواصم أخرى ليقعوا في قبضة المخابرات المصرية.

تظاهر سمير أمام عملاء الموساد الذين كُلفوا بتجنيده أنه ساخط على أوضاع الشعب العربي وعلى قياداته، وساعده في ذلك أسلوب حياته المتحرر كشاب يعشق الحياة، يسهر ويرقص ويمرح، بعكس الشباب المنكسر، المنطوي، الخائف من المجهول في بلاد الغربة..

وكانت النتيجة أن وثق به عملاء الموساد وضموه إلى منظماتهم وشبكاتهم المخربة التي كانت تسعى في الأرض فسادًا، وظنوا أنهم وجدوا في "الإسكندراني" ضالتهم كعميل يمكن

أن يخون بلده وأهله وناسه ورموز هذا البلد، فما كان من سمير بعد أن أيقن خساسة أهدافهم وحقيقتها، وأنهم ناس يعملون على زعزعة استقرار بلده، وأنهم يطلبون منه خيانة الوطن والمبادئ والقسم الذي يتلوه كل وطني بقلبه تجاه وطنه منذ لحظة الوعي..

ما كان منه إلا أن اصطادهم بعد أن ظنوا أنهم قد نجحوا في اصطياده، وعاد مسرعًا إلى مصر دون أن يثير ريبتهم، وتوجه إلى مبنى المخابرات (العربية) – العامة – في القاهرة وأطلعهم على الخطوط العامة، ثم طلب مقابلة رئيس الدولة – جمال عبد الناصر – شخصيًّا ليطلعه على التفاصيل..

وكانت التفاصيل أكثر من مثيرة..

إنها قصة سمير فؤاد الإسكندراني، الذي طُلب منه أن يستمر في لعبته وخداع الموساد حتى سقطت ست خلايا تعمل لحسابها وقدموا جميعًا إلى القضاء الذي حكم بإعدام بعضهم.. وكان سمير قد سافر إلى روما لدراسة اللغة الإيطالية، والطريف أن قرار السفر والدراسة كان بتأثير حبه لبنت الجيران واسمها "يولاندا"، حيث كانت هناك عاطفة مشتركة بينهما، وكثيرًا ما اشتركا في نزهات على كوبرى قصر النيل، وأراد أن يتعلم الإيطالية ليجيد التفاهم معها، خاصة أنه أنهى دراسته بتفوق في كلية الفنون الجميلة (سمير فنان تشكيلي رائع)، ومن أجل عيون يولاندا أحب سمير كل ما هو إيطالي، وظفر بمنحة لتعلم اللغة الإيطالية في بيروجيا – إحدى المدن الإيطالية التي تبعد عن روما بمقدار مائتي كيلومتر تقريبًا، وهي مدينة جبلية سياحية ساحرة – وأتقن سمير اللغة الإيطالية، واستطاع أن يلتحق بمهنة مدرب سباحة للناشئين فهو أيضًا سباح ماهر، ومع ظهوره بقوة في المجتمع الإيطالي شعر بنظرات حقد من جانب بعض الطلبة اليهود بالتحديد.

لمس ذلك عندما كان الطلبة العرب يحتفلون بعيد الثورة المصرية في إحدى قاعات جامعة بيروجيا، وإذا بالتيار الكهربائي ينقطع فجأة ليكتشفوا أن ذلك تم بفعل فاعل، وأن الفاعل هو أحد الطلبة الإسرائيليين.

إلى أن بدأت خطوات استمالته أو بالأدق تجنيده!

كان سمير يلعب البلياردو في نادي الجامعة، ولاحظ رغم انهماكه في اللعب أن شخصًا ما ينظر إليه في اهتمام بالغ، وعندما تلتقي نظراتهما فإن الشخص الآخر يبتسم، وبدأ التعارف:

- أنا سليم.. أدرس الذرّة في لندن.

- وأنا سمير أدريس اللغة الإيطالية في بيروجيا.

أول ملاحظة لسمير على هذا الشاب أنه يتحدث اللغة العربية بطلاقة، ويحفظ الأمثال الشعبية المصرية عن ظهر قلب، وفي الوقت نفسه يجيد ثلاث لغات فضلاً عن العربية هي: الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

أما الملاحظة الثانية على هذا الشاب الغامض فهي أنه يجيد الألعاب السحرية، ومعه سرب من الفتيات الرائعات الجمال، وأنه ينفق عليهن ببذخ.

أما عن جنسيته فكانت غير واضحة؛ فمرّة يقول إنه مصري، ومرة أخرى يقول إنه من أصل يونانى، وذات يوم طلبت فتاة من مرافقاته أن تراقص سمير، وكانت غاية في الجمال، فقال لها سمير إنها تشبه "أنيتا إيكبرج"، فقالت له: أنت ذكي لقد عرفت بسرعة الشبه بيني وبينها، وأحبته الفتاة وصارحت "سليم" بذلك، فقال لسمير: لولا أنك صديقي لقتلتك فإن "بوسي" أثمن صيد وقع في شباكي!

ولفت نظر سمير الإسكندراني في سليم أنه يحمل جواز سفر أمريكيًّا، ولم يكن هذا بالشيء السهل وقتها.

وذات مرة لعب الخمر بعقل سليم ليقول لسمير: أنت لست كالمصريين يا سمير، فالمصريون "أقفال"، وبدأ العداء واضحًا في لغة سليم.. وأضاف: قل لي ما هي أحلامك؟

فقال سمير: أريد أن أدرس الديكور السينمائي في روما.

فدقّ سليم المائدة التي أمامه بيده وقال: إذًا فسأقدمك لمن يساعدك! وبعد عدة أيام دخل سليم ليقول له: هيا.. الرجل في انتظارك.

- قال سمير مندهشًا: أي رجل؟

- إنه صديق تطوّع ليجد لك عملاً.. هيا أسرع.. لا تضيع الفرصة الذهبية. فلمعت في رأس سمير حيلة تجعل هذا الشاب الغامض يكشف أكثر عن نفسه.. فقال له: يا سليم.. نحن أصحاب.. ألا تقول لي جنسيتك؟

- قال سليم: جنسيتي أمريكية وأستطيع أن أحصل لك على مثلها!

وحاول سمير الإسكندراني أن يكشف أكثر عن خبايا هذا الشاب الغامض، فبدأ يحكي له قصصًا مختلقة ليوهمه بأنه مطمئن إليه، فأطلعه سليم على مقال في مجلة أمريكية قائلاً له: إنه هو كاتبه، وإنك – سمير – تستطيع أن تكتب عشرات المقالات عن مصر وتكسب ألوف الدولارات باعتبار أن ثمن المقال الواحد هو (700) دولار، وطبعًا المقال لا بد أن يتضمن معلومات، والمعلومات تحتاج إلى تحرٍّ واستطلاع، وفي روما نزل الاثنان في فندق متواضع للغاية اسمه "بنسيون القمر"، وفي غرفة قبيحة تركه لبعض الوقت. كانت كافية لأن يصلي سمير الإسكندراني خلالها ركعتين لله الخالق الواحد الأحد ويدعو ربه:

- يا رب إنهم يريدون شرًّا ببلدي ولست أدري حدود هذا الشر، ولا أتبين إلى تلك اللحظة معالمه أو مداه.. ولكني أدعوك يا خالقي.. يا رب انصرني".

وفي الصباح نظر للمرآة.. وكان على وجهه شحوب، وحول الجفون هالة تشهد بالأرق، وتناول طعام الإفطار في ترقب وقلق منتظرًا ما سيسفر عنه قدوم "سليم"، وجاء سليم ليأخذه في جولة لرؤية معالم روما، وفي التاكسي الذي أقلهما فاجأه سليم بهذا السؤال المباشر:

- ما رأيك في جمال عبد الناصر؟

وراوغ سمير في الإجابة، ليمرّ هذا اليوم دون جديد، وفي اليوم التالي جاء سليم وهو يصطحب معه فتاتين من أجمل بنات العالم، تشبهان مارلين مونرو، وجينا لولو بريجيدا، ويتحدثان بإثارة وإغراء!!

ولكن مرة أخرى لاحظ سمير أن محور الحديث عن مصر وسوريا! فما علاقة فتاتين لعوبتين بالسياسة، وبالسياسة العربية على وجه الخصوص؟ (وقد كان وقتها هو وقت الوحدة بين مصر وسوريا) ولم يكن سمير يعرف أين يسكن سليم في روما، وقد كان هذا لغزًا آخر، لدرجة أنه سأله ذات مرة: يا أخي.. أليس مِن حقي أن أعرف عنوان الرجل الذي ارتبطت به حياتي!

والمدهش أن هذه العبارة أعجبت سليم جدًّا، ولكنه قال في مراوغة:

- ابقَ أنت في البنسيون، وأنا سأمرّ عليك كل صباح لنقضي طوال اليوم معًا!

وأضاف: يا صديقي.. ماذا تريد أكثر من هذا؟.. أنت في روما وسط أجمل الجميلات والوقت اللطيف.. أليس هذا يكفي؟!

ولكن سمير كان توّاقًا لوقتٍ أمتع من هذا، الوقت الذي يكشف فيه الستار عن نهاية هذه القصة المثيرة التي يعيش فصولها، ولا يدري هل ينجح في أن يقدم شيئًا لبلده وهو في هذه السن المبكرة من حياته، لينضم إلى قائمة المجاهدين الوطنيين الذين يسعون لتنقية بلدهم من هؤلاء العابثين المخربين، أم أنهم سيكتشفون وطنيته مبكرًا ومن ثم يسعون للتخلص منه.. إنها مغامرة لم يكن أحد يعلم نهايتها حتى تلك اللحظة.. ولكنه كان حذرًا إلى أقصى درجات الحذر، فقد كان يعود إلى غرفته في ذلك البنسيون المتواضع ليستعيد كل كلمة بل كل حرف نطق به سليم؛ ليحلل ماذا يقصد؟ وهل يشك فيه؟ وزاد الأمر إثارة أن سمير كان يشعر بأن هناك مَن يراقبه داخل الفندق وخارجه، لدرجة أن سليم كان يقتحم عليه الغرفة دون أن يطرق الباب وفي أوقات غير متوقعة، وعندما نجح سمير الإسكندراني في الاختبارات المتوالية جاءه صوت سليم عبر أسلاك التليفون: سمير.. اسمعني.. ارتدِ أحسن ما لديكَ وقابلني بعد عشر دقائق في محطة السكك الحديدية بروما.. وأضاف: الموعد مهم جدًّا! ثم بمزيد من الإثارة: اذهب إلى الميدان الأسباني وأمسك نسخة من مجلة "التايم".. ادخل القهوة اليونانية.. لوِّح بالمجلة في يدك.. عند ذلك سيتلقفك رجلنا الكبير!!!

وبدأت رحلة الغموض والمجهول!!

وتفاصيل كثيرة يتكتمها حتى الآن سمير الإسكندراني رغم مرور هذه الأعوام الطويلة حتى تحقق المفاجأة عند تحويلها إلى فيلم تليفزيوني ينتظر البدء في تنفيذه منذ عام 1984!!

المهم أن العملية دارت في إطار من الإثارة والغموض وعالم الجاسوسية المشحون بالقلق والتوتر وألعاب الدهاء المتبادلة، لنعرف أن العملية كان من بين أهدافها دسّ السم في طعام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، واغتيال المشير عبد الحكيم عامر، وعن طريق مسايرة سمير الإسكندراني لهذه الشبكة تم الكشف عن جاسوس تم تجنيده في القاهرة هو "إبراهيم رشيد" الذي كان مهمته هي رصد تحركات المشير عامر أولاً بأول وإرسالها برسائل الحبر

السري إلى الموساد، وكانت تصل مباشرة إلى الكولونيل "هار كافي" مدير المخابرات الإسرائيلية وقتها، كما كشفت التحقيقات بعد أن أوقع سمير بأفراد الشبكة واحدًا بعد الآخر عن تجنيد عامل يوناني يعمل في محلات جروبي بالقاهرة اسمه "جورج إيستاماتيو" لتنفيذ عملية دس السم البطيء في طعام الرئيس عبد الناصر ليقتله خلال ستة أشهر، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مساعٍ خسيسة للقيام بعمليات تخريب داخل قاعدة الغواصات المصرية ومحطات الرادار عن طريق جاسوس قُبِض عليه بعد كشف الشبكة، واسمه "رشاد رزق"، كما اكتشفت المخابرات العامة أن هذه الشبكة كانت تسعى لاغتيال طيارين مصريين عن طريق جاسوس اسمه "محمد سامي نافع".

كما كشفت المعلومات عن وجود خطة لنشر الشائعات التي تحبط همم المصريين وتزعزع ثقتهم بقيادتهم، وكان يشرف على تنفيذ هذه الخطط المسمومة في مصر مدير المخابرات الإسرائيلية "هار كافي" بنفسه بالإضافة إلى مكاتب الموساد في روما وباريس وأثينا وأمستردام وموينخ وزيورخ، وإنهم أنفقوا على ذلك ما يعادل مليون جنيه من ملايين ذلك الزمان.

وبعد أن نجح سمير الإسكندراني ورفيقه مهندس البواخر المصري عز الدين نعيمو في كشف هذه المؤامرة الخسيسة بخطة من أنجح ما يكون من جانب المخابرات العامة في مصر، استقال مدير المخابرات الإسرائيلية بعد أن وجد البطولة المصرية، والفضيحة الإسرائيلية منشورة في صحف أبريل من عام 1960 في الصحف المصرية متصدرة الصفحات الأولى والأنباء الرئيسية..

ويبدو أن إسرائيل لم تنسَ بطولة هذا المطرب النجم المصري سمير الإسكندراني، ويا للغرابة أن تعود بعد أكثر من 26 عامًا وفي صيف 1996 لتنشر الصحف الإسرائيلية خبرًا تتناقله – مع الأسف – واحدة من الصحف المصرية، وفي الخبر تقول السطور إن سمير الإسكندراني قد سافر وغنى أمام حائط المبكى (!) بل إنه مؤسس لجمعية صداقة مصرية إسرائيلية، وبالطبع فإن سمير نفى بشدة هذه الأخبار الكاذبة قائلاً بالحرف: "أنا بطل قومي، وهناك مؤامرة لإجهاض بطولتي يشارك فيها الموساد الإسرائيلي"... (جريدة الأحرار 1996/9/9).

ويا عم سمير لك أن تهنأ ببطولتك، فأنت نجم على مسرح الغناء، ونجم على مسرح العمل الوطني.

* * *